(٢٢) خطبة له ﷺ
فى الترهيب من ترك السُّنة
وارتكاب البدع والأهواء

عن جابر رضي الله عنه ، قال : **كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه وعلا صوته ، واشتد غضبه كأنه منذرُ جيشٍ[١] ، يقول صَبَّحكم ومَسَّاكم** ، ويقول :

« **بُعثتُ أنا والسَّاعة كهَاتين** ». ويقرن[٢] بين إصبعيه السبابة والوسطى ، ويقول :

« **أمَّا بعد .. فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله[٣]، وخيرُ الهَدْى هَدْىُ مُحَمَّدٍ[٤]، وشرُّ الأمورِ محدثاتُها[٥] وكلُّ بدعة ضلالةٌ** ».

---

(١) يعنى : كأنه ينذر السامعين بقدوم جيش لقتالهم قد اقترب منهم .

(٢) يقال « قرن الشيء » : وصله به وجمعه ، وبابه ضرب ونصر .

(٣) يعنى : أبلغه وأصدقه وأنفعه وأهداه ، قال تعالى :

﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ** ﴾ . [الزمر : ٢٣]

(٤) الهدى - بفتح فسكون - : الطريقة والسيرة ، يعنى أن طريقته ﷺ فى عمله وسلوكه خير الطرق وأنفعها .

(٥) أى : ما ابتدع منها على خلاف هدى رسول الله ﷺ وسنته .

ثم يقول : «**أنا أَوْلَى بكلِّ مؤمنٍ مِنْ نَفْسِهِ ، مَنْ تركَ مالاً فلأهله**[1]، **ومَنْ تركَ دَيْنًا أو ضِياعاً فإليَّ وعَلَيَّ** [2]».

(رواه مسلم، وابن ماجه، وغيرهما)

فى هذه الخطبة الجامعة - كما قرأنا - نستطيع أن نقف على عدة ملاحظات مهمة ، وهى :

أن النبى ﷺ كان إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول : صبَّحكم ومسَّاكم . . إلخ .

وهذا معناه : أن النبى ﷺ كان يخطب بحاله قبل مقاله، وكما يقولون : «**حَالُ رجلٍ فى ألفِ رجل : خيرٌ من وَعْظ ألفِ رجلٍ فى رجل**» كما كان النبى ﷺ ثورة فى خطابته بحيث يؤثر فى سامعيه بهذه الصورة التى تجعل قلوبهم متفتحة لاستقبال كل لفظة تخرج من فيه ، صلوات الله وسلامه عليه .

وهذا هو الوعظ الذى نفتقده فى كثير من الوعاظ الذين لا يؤثرون فى قلوب سامعيهم ، لأنهم يتحدثون مع الناس بألسنتهم لا بقلوبهم

---

(١) كما قال القرآن الكريم : ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ [الأحزاب : ٦] ومعنى أولى ، أى : أحقّ .

(٢) معنى قوله : «فإليَّ» راجع إلى الضياع ، يعنى : فعياله مضمومة إلىَّ أكفلهم وأقوم بما يصلحهم ، وقوله : « وعلىَّ» راجع إلى الدَّين ، يعنى : فعلىَّ قضاؤه عنه إن لم يكن له مال .

وأحوالهم ، ولأنهم يقولون ما لا يفعلون ، وتلك هى المصيبة الكبرى التى أشار الله تعالى إليها فى قوله :

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾(١) .

وأن كتاب الله تعالى ، وهو القرآن : خير حديث ، أى : أبلغه وأصدقه وأنفعه وأهداه . .

وهذا معناه أنه من الخير لنا إذا أردنا الهداية فى أسمى معانيها ، وأصدق توجيهاتها : أن نكون على صلة وثيقة بكتاب الله تعالى ، وذلك بالإكثار من تلاوته والتدبر فيه ، مع ضرورة تنفيذ ما فيه من أوامر ، واجتناب ما فيه من منهيَّات .

وكذلك بالنسبة لخير الهدى ، وهو هدى محمد صلوات الله وسلامه عليه ، الذى لا ينطق عن الهوى . . يقول الله سبحانه عنه ﷺ :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾(٢) وذلك بالتمسك بهذا الهدى ، والبعد عن المحدثات أى : المبتدعات التى على خلاف هذا الهدى المحمدى ، وحسبنا هذا التعبير الوارد فى الخطبة ، وهو : «**وكلُّ بدعةٍ ضَلالة** » ، وقد ورد كذلك فى حديث آخر : «**وكلُّ ضَلالةٍ فى النار** » .

---

(١) سورة الصف : ٣ .

(٢) سورة النجم : ٣ ، ٤ .

قال الإمام البخارى فى باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، وقول الله تعالى : ﴿ **وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾[1] . . قال : «أئمة نقتدى بمن قبلنا ، ويقتدى بنا من بعدنا » .

وقال ابن عون :

«ثلاثٌ أحبهنَّ لنَفْسى ولإخْوَانى ، هَذه السُّنَّةُ ، أنْ يتعلَّموها ويَسْألوا عَنْهَا ، والقرآنُ أنْ يتفهَّموه ويَسْألوا الناسَ عنه ، ويَدَعُوا الناسَ إلا مِنْ خير» . . اهـ .

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :

« **مَنْ أَحْدَثَ فى أَمْرِنا هَذا ما ليسَ منه فهوَ رَدٌّ**[2] » .

(رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ولفظه : «**مَنْ صَنع أمرًا علَى غيرِ أَمْرِنا فهوَ رَدٌّ** » ، وابن ماجه) .

وفى رواية لمسلم : « **مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيهِ أَمْرُنَا فهو ردٌّ** » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال :

« **مَنْ تَمسَّك بسُنَّتى عندَ فسادِ أمَّتى فلهُ أجْرُ مائة شهيدٍ** » .

(رواه البيهقى من رواية الحسن بن قتيبة ، ورواه الطبرانى من حديث أبى هريرة بإسناد لا بأس به ، إلا أنه قال : « **فله أجرُ شهيدٍ** ») .

* * *

(١) سورة الفرقان : ٧٤ .
(٢) أى : مردود على صاحبه .